فرائد الأسماء الفذَّة في القرآن الكريم
(سورة مريم) نموذجا

الدكتور: السيد محمد سالم سالم العوضي
قسم اللغة العربية
كلية اللغات
جامعة المدينة العالمية– ماليزيا–

الملخص

يأتي هذا البحث حلقة من الحلقات ولَبِنة من اللبنات التي تكشف وتُثْبِت سر تفرد كلمات وألفاظ القرآن الكريم عامة والفرائد منها بصفة خاصة، والتي جاءت على نحو غير مسبوق ونُظِّمت بطريق غير مكرر بين ثنايا آي القرآن الكريم، فتميزت بطريقة تركيبها، وتخصصت بنظم حروفها، وتفردت في سياقها، واتسقت بروعة عرضها، في نظام لغوي محكم من لدن حكيم خبير، وليكون البحث محدداً اقتصر فقط من هذه الفرائد على بعض فرائد الأسماء، ولذا سيأتي جُلُّ عملي–بإذن الله– في هذا البحث متمثلاً في الآتي:القراءة المتأملة الناصعة في الفريدة القرآنية على اختلاف اشتقاقاتها من خلال هيكلها التركيبيّ، وبنيتها الصرفية، ووقع أصوات حروفها، وما تشعه من ظلال دلالية على النص والذي لا يتأتى لغيرها من المرادفات المشابهة أو القريبة منها، والتي تحمل نفس المعنى الدلالي، ثم الربط بين كل هذا محاولاً الوصول إلى معرفة سرها البلاغيّ، وإعجازها البيانيّ، ولماذا لم تغن غيرها مكانها، وأخيراً العلة في عدم سردها وتكرارها هي هي!في مقام آخر مشابه ومثيل لنفس مقامها. مستعيناً بالمنهج التكاملي.

Abstract:

This research comes to represent one of those cycles of efforts exerted through the history to explain the miracle of the Holy Quran, to establish the secret of *Tafarrud*(only one of its kind)of some words of the Holy Quran that have not been repeated in the whole of the Holy Quran. The roots of such words have not also been repeated in any other context; for this reason the present study is confined to *Faraid* of (the namesin surat mariam.)The present research follows the integrated method. contribute something new to the studies of the Holy Quran, the Holiest book as well as to enrich its linguistic aspect.

- **مقدمة البحث:**

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا.فكان الآية البينة، والمعجزة الظاهرة، والدلالة القاطعة على صدق الوحي، وعظمة الموحِي. والصلاة والسلام على رسوله الأمين، ونبيه العظيم،الذي أدى الأمانة، وبلّغ الرسالة،ونصح الأمة، فكان حجة الله على الخلق، ورضوان الله على الصحب الكرام والأئمة الأعلام، الذين بذلوا وضحوا من أجل أن ينقلوا إلينا هذا الدين؛ أداءً للأمانة،ووفاءً للعهد؛ لننقله نحن لمن يأتي وراءنا من الأجيال وهكذا تستمر الحياة والرسالة، ويُحفظ الشرع، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا، وبعد: فإن للأسلوب القرآني رونقاً وجمالاً لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة،ولا حتى في نتاج فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره يبقى جارياً على نظام ثابت من السموِّ في جمال اللفظ ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له – عادةً – دلالات الكلمات الآخرى من المعاني والكلمات. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه – وإلى الآن – فحول علماء العربية والبيان.

ولهذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف منذ صدر الإسلام يتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه التي تحتويها ألفاظه، فحفظوه عن ظهر قلب، وجمعوه في مصحف واحد، وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، وكتبوا في تفسيره وبلاغته وإعجازه.ولاتزال مسيرة التأليف والبحث في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه؛ لأن كلمات الله – تعالى – لا تنفد معانيها،وسيظل الإنسان يجد في آياته معيناً لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته.

ويكاد يُجمِعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم؛ بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا

لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[1] ؛ ولأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية إلى يوم الدين، إذن ستظل معجزاته باقية ببقائه، لا تنفد عجائبه، ولا تنقضي غرائبه. ومن هنا فالقرآن زاخر بالمعجزات المتنوعة والمتعددة، ومهما أُعطي البشر جميعاً بلاغة في الخطاب، وقوة في البيان، وفصاحة في التعبير لن يأتوا بمثل ما جاء فيه ولو اجتمعوا (*قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا* بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[2] .

وأخص بالذكر منها ما يتعلق بالإعجاز البلاغي واللغوي، والذي يستحق أن نقف عنده مبجّلين ومسبحين بحمد بانيه وباريه. ليظل شاهداً ثابتاً على وحدانية الله –سبحانه وتعالى.وسيقف هذا البحث مع بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِيُثْبِتَ سر تفردها، والتي سُمِّيت بـ(الفرائد).

- **منهج البحث:**

ومنهجي في هذا البحث هو المنهج التكاملي الذي يمزج بين المنهج التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مروراً بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، والمنهج التحليلي اللغوي والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً لإدراك المعنى، ثم المنهج الوصفي الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها،ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني الذي يعتبر عملاً فنياً خالصاً ينطوي تحت المنهج الفني.

*** مشكلة البحث:**

ولقد تمثلت مشكلات هذا البحث فيما يأتي:

- 1– ماهية الفرائد القرآنية التي وردت في القرآن الكريم بشكلعام وفرائد بعض الأسماء بشكل خاص.
- 2– مكانة الفرائد القرآنية عند النقاد والبلاغيين وأهميتها، وإلى أي مدى تمت دراستها من قِبَل العلماء حتى الآن.

- 3- كيفية دراسة هذه الفرائد القرآنية من منظور لغويّ بلاغيّ سياقيّ من أجل إثبات تفردها في سياقها وأسباب هذا التفرد، وإظهار إعجاز القرآن في تناوله لمثل هذه الكلمات.
- 4- العلة في عدم تكرارها في سياق مشابه لسياقها، أو ذكر مرادف لها في مكانها.
- 5- النكات البلاغية والأسرار البيانية التي يمكن الكشف عنها من خلال الفرائد القرآنية.

- **أسئلة البحث:**

1- ما تعريف الفرائد لغة واصطلاحاً؟

2- هل ورد ذكر للفرائد عند النقاد والبلاغيين والدراسات التي تناولت بلاغة القرآن؟

3- كيف تناول النقاد والبلاغيون الفرائد من خلال مؤلفاتهم، وهل هناك فرق بين ما ذكروه وبين ما جاء عند من تناولها حديثاً؟

4- كيف تسهم دراسة الفرائد في الدراسات البلاغية الحديثة المتعلقة بالقرآن الكريم ؟

5- هل هناك حاجة إلى تحليلها وتفسيرها والوقوف على أسرارها؟ وإلى أي مدى يسهم هذا في فهم القرآن فهماً صحيحاً؟

6- ما مدى حاجة السياق القرآني إلى مثل هذه الفرائد؟ وهل يغني غيرها غناءها في هذا الموقع؟

7- هل اتسقت الفريدة مع سياقها ومقامها؟

- **أهداف البحث:**

1- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحاً.

2- الوقوف على ما إذا ورد ذكر لمصطلح الفرائد عند النقاد والبلاغيين وكذلك عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

3– معرفة الكيفية التي تناول بها النقاد والبلاغيون الفرائد، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن.

4– تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراساً ومعيناً لتحليل آخر يشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقاً، وأحسن عرضاً، وأشمل نفعاً.

5– التعريف بهذه الكلمات ولفت النظر إليها من الوجهة البلاغية، يساعد الدارسين والباحثين في تقديم بحوث جديدة تتناولها من جوانب آخرى، أو إضافة الجديد حولها.

6– إثبات حاجة السياق لمثل هذه الفرائد وليس لغيرها لتنسجم وتتناغم تماما مع ما قبلها وما بعدها التي لا يغني غيرها مكانها، ولإثبات شدة كمال اتساقها وتناسبها في موقعها.

7– دراسة كل فريدة قرآنية لغوياً وصرفياً وصوتياً، وما يترجح لها من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني، ثم إظهار دورها في السياق لمعرفة سرها البلاغي، وإثبات ما لها من خصوصية وتفرد،ومكنَّها هي وليس غيرها من التصدر في هذا المقام خاصة وبجدارة.

*** أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في جوانب مختلفة منها:

* إن مما يزيد على ربع هذه الألفاظ وتلك الكلمات لا تكاد تستخدم في كلام الناس وحتى في كتابات المثقفين، بل إن نسبة كبيرة منها هي ألفاظ غير مستخدمة، ومجهولة المعنى حتى لدى المتخصصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الكلمات كخطوة أُولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخدامها، وهي– فيما أرى – خطوة مهمة لتيسير فهم القرآن، ومعايشته بطريقة مغايرة لما هي عليه الآن.
* إثبات وإظهار روعة البيان القرآني، والتعبير الحق البليغ عن أدق التفاصيل بأقل عدد من الكلمات بل من الحروف في نظام محكم بديع دون أن يُخِلَّ بالسياق في جرس موسيقي يأخذ بالألباب.
* إن معرفة الإعجاز القرآني وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها، ومن أجلِّ العلوم وأعظمها، فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وضحت عنده أهميته وفضله، وقديماً قالوا: (شرف العلم يتعلق بشرف المعلوم) والمعلوم هنا هو كتاب الله – تعالى – وكلامه ووحيه وبيانه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي لم يسمع بمثله بشر. فإظهار الإعجاز في هذا الكتاب وبيان العظمة في مبانيه

ومعانيه من الأمور الواجبة والمهام الرائدة في كل زمان وفي هذا الزمان خاصة؛ لأمور منها:

- الحاجة الماسة إلى إظهار هذا الإعجاز للمسلمين وبيانه؛ حتى يخضعوا لأحكامه، وينافحوا عن حدوده، ويرغبوا فيه كما رغب أسلافهم.
- إن إظهار إعجاز القرآن وبيان أنه – قطعاً – كلام الله سبب عظيم من أسباب هداية الكافرين، وجذبهم لهذا الدين، والأمثلة على هذا – في عالمنا اليوم – كثيرة، خاصة في مجالات الإعجاز العلمي والتشريعي.
- وإن إظهار إعجاز القرآن كذلك مهم وضروري جدا للذين سقطوا ضحيةً للفكر الغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يَعْظُم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم، وبالتالي تصفو نفوسهم من تلك الشبهات، وترق أفئدتهم، ويعودوا إلى صوابهم.
- هناك في الأمة بقيّة تمسكت بلغتها، واطّلعت على أسرار بلاغتها، وعلمت فضلها وأهميتها يسرها الاطّلاع على مثل هذه البحوث اللغوية والبيانية، ويُثْلِجُ صدرها كلُّ بحث يكشف عن عظمة القرآن وسمو إعجازه، وهؤلاء بدورهم ينقلون إلى الناس ما استشعروه من جلال البيان القرآني، تأليفاً وحديثاً ومحاضرة وتدريساً؛ فيشيع في الناس علمهم، وينتفعون بآثارهم، كما رأينا من بعض الدعاة المعاصرين الآن.

* والفرائد باعتبارها تمثل ظاهرة واضحة في التعبير القرآني بحاجة إلى دراستها بشكل وافٍ في بحث مستقل؛ إذ لم تحظ من الدارسين قديماً إلا ببعض التعريفات المتواترة مع بعض الشواهد من القرآن والنثر والشعر، ولم يتطرق بحثهم فيها إلى وجودها كظاهرة في الأسلوب القرآني. وفيما يتعلق بالدارسات لها حديثاً سيتم التعرض لها في مكانها من هذا البحث. ولكن جاءت دراستهم لها إما لغوية، أوجزئية أومعجمية أوبلاغية دون الوقوف على أسرارها وأسباب تفردها في سياقها أو الاقتصار فقط على عدد منها دون التعرض لها كلها، إضافةً إلى نظرة بعض المتأخرين من البلاغيين إليها، على أنها من الفنون العرضية التي تجلب لإظهار الاقتدار والتمكن والفصاحة لا البلاغة. ومع هذا فكلها دراسات لها وزنها وثقلها بل كانت نبراساً لهذا البحث وتم الاستفادة منها بشكل كبير.

ومن هنا يعتقد الباحث أن دراستها على نحو متكامل (لغوياً: أي من جهة معناها وما ذكرته المعاجم عنها – وصرفياً: أي من جهة اشتقاقاتها وفي أي قالب جاءت وعلى أي بنية تركيبية شُكِّلت – وصوتياً: أي من جهة صفات حروفها من شدة ورخاوة ولين وقوة وجهر وهمس وعلو واستفال وتفخيم وترقيق، وهل تناسبت وتناغمت أصوات حروف هذه الفريدة مع ما دلَّت عليه من معنى واتسقت مع الجو العام للآية التي وردت فيها – وبلاغياً: أي من جهة ما تنطوي عليه الفريدة من نكات بلاغية ولمسات بيانية وأسرار ولطائف فنية)يعتبر أمراً ضرورياً، يؤكد به إعجاز القرآن البيانيّ والبلاغيّ عن طريق التعبير بهذه الفرائد بين طيات سوره وآياته مع اختلاف المقامات والسياقات التي وردت فيها.

- **<u>إجراءات البحث:</u>**

* أولاً: تناول معاني هذا مصطلح الفرائد بالشرح والتعريف لتقريب معناها للقراء وتوضيحه لهم.

* ثانياً: تناول مصطلح الفرائد في التراث النقدي والبلاغي للوقوف على كيفية تناول القدماء لها وعلى كيفية تصنيفها لهم، وطريقة تعاملهم معها. مروراً بها عبر الأزمنة والقرون التاريخية المختلفة وصولاً بها إلى ما استقرت عليه عند المحدثين.

*ثالثاً: الدراسة المتأملة في الفريدة القرآنية على اختلاف اشتقاقاتها من خلال هيكلها التركيبيّ، وبنيتها الصرفية، ووقع أصوات حروفها، وما تشعه من ظلال دلالية على النص والذي لا يتأتى لغيرها من المرادفات المشابهة أو القريبة منها والتي تحمل نفس المعنى الدلالي.

*رابعاً: النظر الدقيق المتمعن في معرض الآية وجوّها التي سيقت فيه، وما أضافته هذه الفريدة من روابط سياقية، وتعلقات قوية بين ما قبلها وما بعدها بحيث لا يغني غيرها مكانها.

*خامساً: الربط بين كل هذا وذاك محاولاً الوصول إلى معرفة سرها البلاغيّ، وإعجازها البيانيّ، ولماذا لم يغن غيرها مكانها، وأخيراً العلة في عدم سردها وتكرارها هي هي في مقام آخر مشابه ومثيل لنفس مقامها.

<u>المبحث الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحاً</u>

قبل الشروع فى هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته فالفرائد فى اللغة : جمع فريد وفريدة. والفريد هو : الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب فى العقد، وهى أيضا : الجوهرة

النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة : أى لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[3].

. ومن المعنى اللغوى للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

وهذا المعنى اللغوى لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت فى كتب البلاغة والأدب والنقد[4].

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي عند أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبى الإصبع المصرى (585. 654هـ) فى كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد)[5]، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها) أى خسرانها وفقدانها.. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى فمن ذلك قول أبى نواس :.

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[6]

ويعلق ابن أبى الإصبع على ذلك بقوله:" إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

. ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء فى الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها . ومما استشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى{يعلم خائنةالأعين وما تخفى الصدور}(غافر:19) معلقا عليها بقوله:(وهذه الفريدة فى هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة(خائنة)سهلة مستعمله كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع فى شئ من فصيح الكلام شبهها وقد استمر ابن أبى الأصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول–صلى الله عليه وسلم–:(إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر)فقد أشار إلى أن لفظة(حيَّ هلا)من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

ولا يخفى تأثر ابن أبى الإصْبَع هنا بنظرية النظم التى أرساها عبد القاهر الجرجانى الذى ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أى مزية ثم ينظر إليها وهى فى النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حداً كبيراً.. ولكن يؤخذ على ابن أبى الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصى دون بيان الأسرار البلاغية التى أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها.. وهذا ما حاولت فعله فى هذا البحث.

...إذن الفرائد فى القرآن تعنى تلك الكلمات التى اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت فى سلك النظم القرآنى البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقاً قوياً؛ بحيث لا يغنى غيرها غناءها فى موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبى الأصبع ثم هى اكتسبت ثانياً صفةً أخرى أكثر تخصيصاً وتقييداً وهى كونها(فذة)أى متفردة لم ترد فى القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر فى أى سياق آخر رغم تشابه السياقات أحياناً.

المبحث الثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي

في هذا المبحث سنتتبع الفرائد تاريخياً من خلال النقاد والبلاغيين الذين تناولوها في كتبهم، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، وأيضاً من تناولها بمعناها ومدلولها المعروف الآن وسط البلاغيين، علنا نصل من خلال هذا كله إلي ماهية الفرائد عندهم، وكيفية تناولهم لها، وما الفرق بين ما طرحوه وما يطرحهالبحث الآن في هذه الدراسة، وهل سنقدم رؤية جديدة من خلال هذا التناول –تختلف أو تتشابه مع رؤيتهم – الذي أحسب أنه سيحيط بها من خلال بنيتها وطريقة تركيبها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من كلمات، ثم من خلال سياقها، وما تفيضه على الجملة من ظلال نفسية أو صوتية أو بيانية، ثم أخيراً إظهار إعجازها البلاغي. ويبقى أمر يجب التنبيه عليه وهو أننا سنتناول الناقد أو البلاغيَّ من خلال أشهر وأكبر كتاب له؛ نحسب أنه جمع فيه خلاصة خبرته، وجُلَّ آرائه، زُبدة رصيده، وعصارة عقله في مجال النقد والبلاغة، ولا أعتقد أنه بسط كلاماً جديداً في تضاعيف كُتَيْبَاتِهِ الأُخَر، وبالتالي لا يفوتنا شيء مما له علاقة بموضوعنا في هذا الكتاب أو ذاك. ولوكان هناك شيء من هذا لكان هو أحرص وأسرع الناس على إظهاره، ونشره؛ حتى يُكتب له فضل السبق فيه، ولعلمنا اليقيني بشغفهم بالعلم وولَهِهِم بالمعرفة، وخاصة في موضوع كهذا أقصد – الفرائد – الذي هو جديد في بابه، فريد في مكانه.

أولاً:الفرائد عند النقاد و البلاغيين:

وقد استقرأ الباحث التراث النقدي والبلاغي للنقاد والبلاغيين الآتية أسماؤهم:

1- الجاحظ أبوعثمان عمرو بن بحر(ت255):في كتابه "البيان والتبيين".

2- ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني(ت291ه):في كتابه "قواعد الشعر".

3- ابن المعتز عبد الله بن محمد(ت296ه):في كتابه"البديع".

4- قدامه بن جعفر(ت 337ه):في كتابه"نقد الشعر".

5- ابن طباطبا محمد بن أحمد بن إبراهيم(ت322ه):في كتابه"عيار الشعر".

6- ابن وهب الكاتب إسحاق بن إبراهيم(ت372):في كتابه "نقد النثر".

7-الآمديالحسن بن بشر بن يحيى(ت371ه):في كتابه"الموازنة ".

8-القاضي الجرجانيعلي بن عبد العزيز(ت392ه):في كتابه"الوساطة بين المتنبي وخصومه".

9-أبو هلال العسكريالحسن بن عبدالله(ت395):في كتابه "الصناعتين".

10-ابن سنان الخفاجي عبد الله بن محمد(ت466ه):في كتابه"سر الفصاحة ".

11- ابن رشيق القيروانيأبو علي الحسن(ت463ه):في كتابه"العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ".

12- السكاكييوسف بن أبي بكر(ت626ه):في كتابه"مفتاح العلوم ".

13- ضياء الدين بن الأثيرنصر الله بن محمد(ت637):في كتابه"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر".

14- حازم القرطاجنيحازم بن محمد(ت684ه):في كتابه"منهاج البلغاء وسراج الأدباء ".

15- شهاب الدين النويريأحمد بن عبد الوهاب(ت733ه):في كتابه"نهاية الأرب في فنون الأدب ".

16- الخطيب القزوينيمحمد بن عبد الرحمن(ت739ه):في كتابه"التلخيص في وجوه البلاغة".

ومن خلال استقراء الباحث لكتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أولاً:لم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائماً فيما يخص ألفاظ القرآن –في حال التعرض لها– أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي:الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا البحث.

ثانياً:انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلاً عن مباحثها.

ثالثاً:كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو–إن شئت فقل–آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى:(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[7]؛تناقلها الجميع، ومن تعرض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

رابعاً:حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فناً فناً، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحُكمه الذي اتخذه، وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا!تُحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على أنه ما فرَّط في شئ.

خامساً:قرأت غيرَ مرةٍ عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط–دون أن يشعر– من تحت قدميه، مخالفاً ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز؛ فينشرح

صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيُشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئاً فشيئاً تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى– لا أقل من شأنها –، وتأتي الرياح بمالم تشتهي السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاماً صريحاً مباشراً عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

ثانياً:الفرائد في الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن

لقد اطَّلع الباحث على الكتب التي تعرضت لبلاغة القرآن ومنها :

1- مجاز القرآن(لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى)

2- معاني القرآن(للفرَّاء)

3- معاني القرآن(للأخفش)

4-تأويل مشكل القرآن(لابن قتيبة)

5- النكت في إعجاز القرآن(للرماني)

6- إعجاز القرآن(للباقلاني)

7- إعجاز القرآن(للخطابي)

8- المغني في أبواب التوحيد والعدل(لقاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار الآسد آبادي)

9- الرسالة الشافية(للجرجاني)

10- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز(لعبد القاهر الجرجاني)

11- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(للزمخشري):

12- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز(للرازي)

13- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن(لابن الزُّمْلكاني)

14- البرهان في علوم القرآن(للزركشي)

ومن خلال الوقوف عند هذه الكتب لم نجد فيها ما يشفي غُلَّتنافي هذا الموضوع.

ثالثاً:الفرائد عند من أفرد لها أبواباً خاصة:

1- **تحرير التحبير لابن أبي الأصبع** ":لقد تحدث ابن أبي الأصبع(585- 654ه)في كتابه"تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر"في الجزء الرابع عن"الفرائد، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى فمن ذلك قول أبى نواس:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفاَ[8]

ويقول معلقاً:"إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور"[9]. ثم استشهد من القرآن بآيات ليدلل على كلمه. ومن خلال كلام ابن أبي الأصبع، نتبين أن ابن أبي الأصبع لم يتحدث كما قصدناها هنا في هذا البحث.

2- **شرح الكافية البديعية(لصفي الدين الحلي)**:لقد أثبت صفى الدين الحلى(67-750ه)بابًا للفرائد فى شرح الكافية البديعية[10]... معرفًا بها وممثلاً لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعر قائلاً:"وهو نوع مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه الإتيان بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، تدل على فصاحة المتكلم وقوة عارضته، حتى إن تلك الكلمة لوسقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [11] فقوله تعالى"الرفث"فريدة لايقوم غيرها مقامها وبالتالي فهذا مختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

3- **خزانة الأدب وغاية الأرب(للحموي)**:لقد ذكر أبو بكر علي بن عبدالله(767ه-837ه)الفرائد في كتابه قائلاً:"الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة"[12]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو قد ذكر مصطلح الفرائد، ولكن تناوله لها مختلف عما نحن بصدده، بالإضافة أنه لم يحصها عددا.

4- **شرح عقود الجمان(للسيوطي)**: وفى حديث السيوطى(ت 911ه)عن الفرائد فى كتابه(شرح عقود الجمان)نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبى الأصبع أو إلى صفى الدين الحِلّى وزعم أن(الفرائد والتنكيت)من زياداته، قائلاً:"وهذان النوعان من زياداتى وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها)[13]، وساق الأمثلة نفسها التى ذكرها المتقدمون عليه. ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو:المزهر في علوم اللغة وأنواعها[14]، والثاني هو:معترك

الأقران في إعجاز القرآن[15]، ولكن لم يشأ الباحث أن يفرد لهما صفحات في هذا البحث؛ لأن كلامه عنها مكرور، وهو نفسه الذي قاله في هذا الكتاب مع زيادات طفيفة. وعليه فلم يتعرض له بمثل ما يتعرض لها هذا البحث.

5- **أنوار الربيع في أنواع البديع(للمدني)**:لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني(ت1120هـ)مصطلح الفرائد في كتابه مردداً كلام من سبقه من العلماء قائلاً:"هذا النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة...، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة،...كقوله تعالى:"الآن حصحص الحق"مكانها"[16]، ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط –وقد نقلها عن السابقين–وأكثر من الاستشهاد بالشعر، ولم يزد على هذا، وعليه فقد اختلفت الدراستان.

6- **كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار(بفن البديع)**[17]:وهذا الكتاب أو هذه البديعية التي ألفها الشيخ(عبد الغني النابلسي)على غرار ما مُدح به النبي– صلى الله عليه وسلم–في بردة البوصيري، وما تبعها من قصائد –سميت بالبديعيات–معارِضةً لها. ومن هنا نلاحظ أنه تحدث عن الفرائد، فوضع لها حدوداً، وأظن أنها لا تختلف كثيراً عما قاله السابقون، ولكنه لم يتعرض لفرائد القرآن في بديعيته. وبالتالي لا تتفق مع ما نحن بصدده في هذه الدراسة.

7- **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها(أحمد مطلوب)**:لقد تطرق الدكتور: أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلاً:"والفرائد من مبتدعات المصري، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة؛..."[18]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه معجم النقد العربي القديم[19]، وبالتالي تناوله لها يختلف بدوره عما سنقدمه في هذه الدراسة.

8- **مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم(دراسة لغوية)، محمود عبد الله عبد المقصود يونس،(رسالة ماجستير)جامعة الأزهر، مصر.1421هـ/ 2000م.**

في هذه الدراسة تناول الباحث المفاريد القرآنية من الناحية اللغوية البحتة أي من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة فقه اللغة في هذه المفاريد ثم تتبعها كلها واستقصاها في القرآن الكريم وأردف لها معجما خاصاً في نهاية بحثه، وبهذا فالبحث فيه جزء متعلق بهذه الدراسة التي الباحث بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في

المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإن هذه الدراسة تختلف عما سيقدمه هذا البحث فالدراسة اللغوية شق منها ولكن ستكون هي مرحلة أو درجة يصعد عليها ليصل إلى إعجاز هذه الفرائد البلاغي والبياني وسر تفردها إن وجد.

9- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)(د/كمال عبد العزيز إبراهيم)[20]

وفي دراسته شرح الباحث أولاً عنوان بحثه وبالتالي شرح معنى الفرائد لغوياً، ثم تتبعها تاريخياً عند من تعرض لها ممن سبقه، ثم أحصاها عدداً، وجمعها من القرآن الكريم مثبتاً إياها في ملحق خاص في آخر الكتاب، ثم بيّن أسباب اقتصاره على المضارع في هذه الدراسة، وشرح منهجه فيها وطريقة تعرضه لها، وكيفية تحليله لها. ولكنه اقتصر على المضارع فقط، وهذا يختلف عما سيقدم هنا؛ حيث سيتناول هذا البحث بقية الفرائد الأخرى.

المبحث الثالث:فرائد الأسماء الفذة في سورة مريم

1- الْمَخَاضُ:ورد في قوله تعالى(فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) [21]. والآية في ولادة عيسى وما اقترن بها من آلام الولادة.

يقول ابن فارس: " الميم والخاء والضاد: أصل صحيح يدل على اضطراب شيء في وعاء مائع، والماخض: الحامل إذا ضربها الطلق، وهذا أيضاً على معنى التشبيه كأن الذي في جوفها شيء مائع يتمخض"[22]، والمخاض: " وجع الولادة، وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض"[23]. وعبر ربُّنا بهذا اللفظ الذي لم يغن غيره غناءه؛ لأنه المناسب والموائم لحركة الطفل من خوض ودوران ولف من أجل الخروج من بطن أمه، وهذا يبدأ عندما تنتهي مدة أجله داخل الرحم، فالطفل يخوض مرحلة عسيرة من مكان ضيق إلى فضاء فسيح، فالانتقال عسير وفيه خوض والتعبير بهذه الحروف تدل على صعوبة ومشقة في أصواتها فالخاء فيها احتكاك يظهر من احتكاك هواء الحلق مع اللهاة في أعلى الحنك، واهتزازه والتي تجعلك وكأنك ترى مرحلة الخروجمن الرحم الذي لازال ينقبض وينبسط ويتسع ليخرج الجنين. والآية تنطوي على أسرار بلاغية منها بأنه ساق المخاض في صورة استعارية جميلة توحي فيه بقوته وسيطرته على السيدة مريم، ليضطّرها إلى الاستناد إلى نخلة لتُخَفِّف عنها عناءه، ثم التشبيه التمثيلي الذي يشبه فيه حالة جنينها في بطنها بشيء في وسط مائع يتمخض فيه، في إشارة إلى دقة الخلق والإيجاد من العدم.

2- حَتْماً: ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾[24]. والآية في الحديث حول ورود النار وما المقصود به؟

والحتم: " إيجاب القضاء، والأمر اللازم الواجب الذي لابد من فعله"[25]، والمعنى أنه: "وإن منكم- معشر الخلق- إلا حاضر لها، يراها المؤمن ويمر بها، والكافر يدخلها، وتنفيذ هذا أمر واقع حتماً، جرى به قضاء الله "[26]، وكلمة حتماً هنا لا يغني غيرها غناءها من مثل(واجباً - لازماً - ضرورياً...)؛ لأنها لا تعطي معنى اليقين الكلي والتام في حدوثها فكم من واجب يُترك، وكم من لازم يُهمل، وكم من ضروري تنتهي ضرورته، وهذا ما لا يتناسب وسياق الآية من التأكيد على أمر نافذ وواجب الوقوع، وما قد يتناسب مع البشر من أحكام وقرارات قد يعتريها التبديل والتغيير والحذف والنسخ، لا يتماشى مع أحكام وأقدار الله- عز وجل - وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالأمور الأخروية، وعليه فقد ناسبت (حتماً) قضاء الله- تبارك وتعالى-، فحكمه لا رجعة ولا استئناف ولا نسخ فيه؛ لأنه أمر منتهٍ ونافذ أو واجب التنفيذ، وهناك من أقدار الله ما يُردُّ لدعاء صاحبه (حديث الدعاء والقضاء) أما ما يقدره الله من أمور ثابتة وحقائق راسخة، فلا رجوع فيه؛ لذا أردف بعدها مقضيًا لأن من معانيها العلم، يقال قضيت لك بهذا أي أعلمتك به، وهو أمر أراده الله وبالتالي لا مرد لقضائه، ولا مبدل لحكمه - سبحانه-؛ لذا ناسب هذا القول في هذا السياق. يقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله-: "الحتْم: هو الشيء الذي يقع لا محالةَ، والعبد لا يستطيع أنْ يحكم بالحتمية على أيّ شيء؛ لأنه لا يملك المحتوم ولا المحتوم عليه. فقد تقول لصديقك: أحتم عليك أنْ تزورني غداً، وأنت لا تملك من أسباب تحقيق هذه الزيارة شيئاً، فمَنْ يدريك أن تعيشَ لغد؟ ومَنْ يدريك أن الظروف لن تتغير وتحُول دون حضور هذا الصديق؟ إذن: أنت لا تحتم على شيء، إنما الذي يُحتِّم هو القادر على السيطرة على الأشياء بحيث لا يخرج شيء عن موارده"[27]. و"من العجيب أن الحُكْم والفَصْل من الحق- سبحانه - يشمل كل السلطات: التشريعية والقضائية والتنفيذية، فحُكْمه سبحانه لا يُؤجَّل ولا يُتحّايل عليه، ولا تضيع فيه الحقوق كما تضيع في سراديب وأدراج المحاكم. أما حُكْم البشر فينفصل فيه التشريع عن القضاء عن التنفيذ، فربما صدر الحكم وتعطَّل تنفيذه، أما حكم الله فنافذ لا يُؤجِّله شيء"[28].

3- ضداً: ورد في قوله تعالى: ﴿ كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾[29]. والآية في ردّ الله تعالى على عُبّاد الأصنام الذين اتخذوا أصنامهم آلهة، ليعتزوا بها يوم القيامة.

يقول ابن فارس: "الضاد والدال كلمتان متباينتان في القياس، فالأولى:الضّد:ضد الشيء، وهو المقصود من اللفظة، والكلمة الأخرى:الضد:وهو الملء، والضد:كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه"[30]. واللفظة هنا في هذا السياق تفردت؛ لأنه لا يغني غيرها غناءها؛ حيث إنها انسحبت على الفريقين فهي تستوي في التعبير عنهما تماماً بتمام فهي تنسحب على الكافرين تارة– إن أردت – وتنسحب على الأصنام التي كانوا يعبدونها، فعلى "الأول تكون الآلهةُ التي كانوا يرجون أن تكون عِزاً ضدّاً للعز أي ذلاً وهُوناً، أو تكون عوناً عليهم وآلةً لعذابهم حيث تُجعل وَقودَ النار وحصَبَ جهنم، أو حيث كانت عبادتُهم لها سبباً لعذابهم، وإطلاقُ الضدِّ على العَون لما أن عَونَ الرجل يُضادُّ عدوَّه وينافيه بإعانته له عليه، وعلى الثاني يكون الكفرةُ ضداً وأعداءً للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبُدونها. وتوحيدُ الضدِّ لوَحدة المعنى الذي عليه تدور مُضادّتُهم فإنهم بذلك كشيء واحدٍ"[31]، فما ظنَّه الكفار عِزّاً ومَنَعة صار عليهم ضِدّاً وعداوة. ولا تعطي نفس المعنى إن قلت: (عدوًا– خصمًا)؛ لأن ضدًا أقوى من خصمًا أو عدوًا في تحقيق المعنى المراد إيصاله للقارئ لأن العدو أو الخصم ربما يصير هناك صلح بين المتخاصمين ويصيرون أحباباً أو أصحابًا، أما الضد فلا يتوقع قط أن يتفق أو يتصالح أو يتسامح مع من يقف ضده، و" حتى جرس ألفاظها يتناسب مع المقام الذي يقتضي الشد والعنف، فجاءت فاصلتها مشددة لتتماشى مع فواصل صويحباتها. مدّا. إدّا. هدّا، إزّا "[32].

4– وَفْداً: ورد في قوله تعالى: (*يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا*)[33]. وسياق الآية في بيان حال ومآل المتقين؛ حيث يقدمون على الله كما تقدم الوفود على الملوك، مع الفارق بين ملك الملوك وغيره.

يقول ابن فارس: "(وفد)الواو والفاء والدال: أصلٌ صحيح يدلُّ على إشراف وطُلوع. منه الوَافد: القَوم يَفِدُون"[34]. والوفد: " جمع وافد ممن يفدون على الأمراء والملوك، وقوله(وفدا) قيل: والوفد الركبان المكرمون"[35].

والمدقق في الكلمة يجد وقعها على الأذن خفيفاً، وفي النفس لطيفاً، ومعناها أليفاً، وهي تشي باللين والرحمة والرقة والمودة والاستقبال والاستعداد من الْمُوفِد، واتسقت معها الكلمة التي قبلها وهي الرحمن لتضفي وتؤكد ظلال الرأفة والحنو والرحمات والنسمات الإلهية التي تشملهم وتحيط بهم، وأصوات الكلمة تؤكد هذه المشاعر الحانية والراحة النفسية التي تتملّكُك

عند سماعها من واو رقيقة وفاء هادئة تتدفق منها ومع خروجها حِزَم من الأحاسيس الجياشة والعواطف المفعمة بالرقة والحميمية من المؤمنين لله – عز وجل– ومن الله لهم، فها قد جاء اللقاء المرتقب وها قد وصلوا إلى الحقيقة المطلقة التي طالما اشتاقوا إليها وتخيلوها في أيامهم ولياليهم الخوالي ألا وهو الله، فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، مع ألف المد التي تعطيك ظلاً ومداً صوتياً يتماشى مع ما هم فيه من رحمات وأنس وفرحة أثناء سيرهم إلى الرحمن وكأنهم بهذه الألف لا يريدون أن ينتهي هذا الموقف، وكما يحدث معنا في هذه الحياة إذا راقك موقف لا تود أن ينتهي لجمال ما فيه ولاستمتاعك به، وكأنك تسايرهم في هذا المشهد المهيب النديّ الرخيّ، الذي لا تسمع فيه صخباً ولا ضجيجاً، ولا غمغمة ولا همهمة، فالأمور هادئة وقد عُرِفت النتائج وكُشفت الحقائق، فليس هناك فزع ولا فجع من مصير ولا من حساب أو عقاب.

ومن الأعراف في دنيا الناس أنه من تمام النخوة وكمال الشهامة أنه منْ ينزل ضيفاً عند أحد فله على المضيف إكرامه وحسن استقباله، وإعداد النُزُل له، وإلباسه من الحُلَل، وإطعامه من أفضل الأُكُل. فكل هذا الكرم يحدث في حياتنا الدنيا فكيف بمن ينزل على الله ضيفاً، أو يغدو إليه وفداً فهذا نعيم ما بعده نعيم، وهذا ما أعده الله للمتقين في الجنات، وللزيادة في هذا النعيم اختار السياق أسلوب الالتفات من المتكلم (في نحشر) إلى الغائب في الرحمن (حيث إن الاسم الظاهر يقوم مقام ضمير الغائب) اختار هذا الأسلوب فذَكر الاسم الدال على عموم الرحمة، وعلاوة على ذلك أن كلمة (الرحمن) تحمل في طياتها البشرى بالرحمة والمغفرة والاطمئنان، وتبعث في قلوبهم من الرجاء، وحسن الظن بالوافد إليه، وبالتالي يفدون إليه واثقين من فضله، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم محسنين الظن به، وبالإضافة إلى ذلك لم يختر السياق كلمة (إلينا) لأنها لا تتسق وسياق الآية، فتشعر معها بأنه مازال المصير مجهولاً، ويتبعها قلق وخوف واضطراب في المشاعر وعدم استقرار، فضلاً عن أن السياق القرآني استعمل (إلينا) في سياقات العذاب والغلظة والغضب والشدة والجزاء والعقوبة[36]، وهذا ما لا يتفق ومقصود الآية. وبهذا تكون قد تفردت الكلمة هنا في هذا السياق ولم يغن غيرها مكانها من مثل: (جماعات– مجموعات– فِرق–...).

5– إِدّاً: ورد في قوله تعالى:﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ [37]. والآية في تبيين أمر هؤلاء الكفار الذين جعلوا لله البنات والأبناء، وبيان مدى جرمهم وشناعة قولهم، وعظيم إفكهم.

يقول ابن فارس: " أما الهمزة والدال في المضاعف فأصلان أحدهما: عِظَم الأمر وشدته وتكرره، والآخر: المشدد، والكلمة من الأصل، والإدُّ: الشيء العظيم"[38]، والإدة: " الداهية والأمر العظيم الفظيع المنكر"[39]. وكلمة (إداً) لا يغني غيرها غناءها؛ لأن الإدَّ في كلام العرب: أعظم الدواهي، وما قالوه في حق الله لا شيء أشنع ولا أفظع منه؛ لأن"اتخاذ الولد له مقاصد، فالولد يُتخذ ليكون لك عِزْوة وقوة؛ أو ليكون امتداداً لك بعد موتك، والحق – سبحانه وتعالى– هو العزيز، الذي لا يحتاج إلى أحد، وهو الباقي الدائم الذي لا يحتاج إلى امتداد. إذن: فاتخاذ الولد بالنسبة لله– تعالى – لا عِلةَ له، كما أن اتخاذ الولد لله –تعالى– ينفي سواسية العبودية له–سبحان"[40]؛ لذا جاءت الكلمة معبرة تماماً عما أراداه السياق، والكلمة فيها من التشنيع والتفظيع ما لا تؤديه لفظة غيرها، ويظهر هذا من تشديد الدال، وما تحدثه من ثقل عند النطق بها، وكسر الهمزة قبلها. "والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول؛ بحيث إنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغير كيانها،فتكاد السماء تتفطر، والجبال تخر، والأرض تنشق"[41]،وهي" ردٌّ لمقالتهم الباطلةِ وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفاتِ المنبيءِ عن كمال السخطِ وشدةِ الغضب المُفصِح عن غاية التشنيعِ والتقبيحِ، وتسجيلٌ عليهم بنهاية الوقاحةِ والجهل والجراءة"[42]، ويعضد من الجو النفسي للسياق " جرس الألفاظ وإيقاع العبارات ليشارك ظلال المشهد في رسم الجو:جو الغضب والغيرة والانتفاض!وإن ضمير الكون وجوارحه لتنتفض، وترتعش وترجف من سماع تلك القولة النابية، والمساس بقداسة الذات العلية، كما ينتفض كل عضو وكل جارحة عندما يغضب الإنسان للمساس بكرامته أو كرامة من يحبه ويوقره، هذه الانتفاضة الكونية للكلمة النابية تشترك فيها السماوات والأرض والجبال. والألفاظ بإيقاعها ترسم حركة الزلزلة والارتجاف. وما تكاد الكلمة النابية تنطلق: «وَقالُوا:اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً» حتى تنطلق كلمة التفظيع والتبشيع: «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا» ثم يهتز كل ساكن من حولهم ويرتج كل مستقر، ويغضب الكون كله لبارئه. وهو يحس بتلك الكلمة تصدم كيانه وفطرته وتجافي ما وقر في ضميره وما استقر في كيانه وتهز القاعدة التي قام عليها واطمأن إليها"[43].

6- رِكْزًا: ورد في قول الله تعالى:(*وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً*)[44]، والآية في الإنذار بإهلاك المشركين كما أهلك من قبلهم من الأمم.

والركز: "الصوت الخفي، وقيل: هو الصوت ليس بالشديد، وقيل: هو صوت تسمعه من بعيد نحو: ركز الصائد إذا ناجى كلابه...."[45]، و" أصلُ الرِكْز هو الخفاءُ ومنه رَكَز الرمحَ إذا غَيَّب طرفه في الأرض، والرِّكازُ المالُ المدفونُ المخفيُّ، والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يُرى منهم أحد، ولا يسمع منهم صوت خفي"[46]، واستناداً للمعنى الاشتقاقي سنجد أن الكلمة لا يغني غيرها غناءها؛ حيث دلّت على الخفاء والفناء والتغييب من هذا الوجود كما يُخفى ويُغيَّب رأس الرمح في الأرض، فدلت على دلالتين طلبهما السياق، فأدّت معنى الصوت الخفيف الذي لا يكاد يسمع وفي الوقت نفسه دلّت على معنى الفناء والهلاك. و"دل ذلك على انقراضهم وفنائهم بالكلية، والأقرب في قوله: أَهْلَكْنا أن المراد به الانقراض بالموت"[47]. والآية انطوت على ملمح بلاغي وهي الكناية وهي: "كناية عن اضمحلالهم؛ كني باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم"[48]. والكلمة وردت في مشهد صاخب وهاديء في الوقت نفسه "يبدؤك بالرجة المدمرة، ثم يغمرك بالصمت العميق. وكأنما يأخذ بك إلى وادي الردى، ويقفك على مصارع القرون وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحده البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح. والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع، ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار، لا نأمة. لا حس. لا حركة.لا صوت (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ؟) انظر وتلفت (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً) تسمّع وأنصت. ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت"[49].

الخاتمة

وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من النتائج وهي:

1- عدد فرائد الأسماء الفذة في سورة مريم ست فرائد فقط.

2-بعد هذا الطواف حول أسرار الاسم الفريد في السورة، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياقُ كلِّ فعل أو مَقامه الذي يقتضي مجيء هذا الاسم أو ذاك ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه؛ إذ إنه بهذه الصفة يؤدى من المعاني والتأثير والجمال الفني مالا يؤديه غيره، وأنه – وللسبب نفسه–لم يتكرر مرة أخرى، إما لأن الموقف لم

يتكرر وهذا ما لاحظناه في هذه الأسماء أو لأن الموقف قد تكرر ولكن السياق أو المقام اختلف في بعض التفاصيل التي كانت سببًا في اختيار فعل آخر كما رأينا.

3–لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاماً صريحاً مباشراً عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة، ولم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائماً فيما يخص ألفاظ القرآن – في حال التعرض لها– أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي :الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو.

4– لم نعثر على أي حديث عن الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

5– أعترف بأن بعض الأسماء في هذا البحث كانت عَصِيَّة أَبِيَّةً فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول حصن هذا الاسم المنيع ألتمس بلاغة سياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القارئ في ذلك ، فحسبي أنني –فيما أعلم – أرود طريقًا غير معهود ومجالاً غير مسبوق.

6– القرآن الكريم كنز أسرار لا ينفد وحين تتفتح للباحث المتأمل كوة النور فإنه يرى عالما من الإيحاءات وظلال المعاني التى تساعده فى معرفة الأسرار البلاغية للقرآن الكريم.

7– انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف....وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن وبلاغته – إلا القليل–فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم.

8– جاءت الفرائد عند من تناولها بما نقصده في هذا البحث، جزئية، أومقصورة على بعض الألفاظ دون تقسيم أو تحديد لها وذكرها على سبيل المثال فقط، وإن كان فمن جهة اللغة والغرابة والاقتدار والإعجاز، ولم يشرع أحد في تحليلها بالشكل الذي يأتي عليه هذا البحث اللهم إلا دراسة واحدة ولكنها تناولت المضارع، وهنا تناولنا الماضي.

9- أسهمت الفريدة القرآنية في تبيين جمال الصورة البيانية، فكانت عنصراً مهماً من عناصر الجمال فيه.

10- إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.

11- ظهر للباحث أن دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت بالمعنى التفسيري واللغوي إلى حد بعيد، بل إنه في أحايين كثيرة يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية.

12- لكل لفظ في القرآن قصد محقق، وهدف مقصود في سياقها الخاص بها على وجه الإعجاز والتحدي، ولا سبيل لوقوع لفظة مكان أخرى تترادف معها، أو حتى تتبادل موقعها، وهذا ما يأباه الكلام المعجز؛ لأن كل حرف فيه مقصود لسمة تعبيرية أو معنى محدد.

13- الفرائد القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظٌ لفظاً آخر فيتساوى معه في المعنى تمام المساواة، بل إن الكلمة ذاتها لتتكرر في أكثر من سياق لتدلّ على معنى آخر مغاير في كل سياق، فإذا نظرنا إلى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشهد في تدفّق وحياة.

<u>التوصيات</u>

وهناك جملة من التوصيات والاقتراحات التي آمل أن تجد آذاناً صاغية وهي:

1- تأليف كتاب جامع في الإعجاز؛ إذ لا يوجد حتى الآن- حسب علمي- كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة؛ لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الجامعات والمعاهد العلمية التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع، والجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة.

2- التوسع في بيان الإعجاز البياني، والكشف عن أسراره؛ إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها، ولهذا لم يعد واضحاً لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته.

3- الحرص على تقريب معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية:(قراءةً ودراسةً وتعلماً)، وتشجيع الباحثين المثاليين وتوفير كافة الإمكانات المتاحة لهم.

4- تقرير مادة تسمى"مفردات أو فرائد القرآن"على أقسام طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات؛ لِتُقَرّب الطلاب من كتاب ربهم ومن لغته التي تسهم في معرفة المزيد عن دينهم والتي يقوى بها إيمانهم.

5- مراجعة مقررات المواد القرآنية وتوصيف مفرداتها والكتب الرئيسة المنهجية والمساعدة في المؤسسات التعليمية والتعليم العالي في الجامعات، بما يتناسب مع علوم القرآن لإعداد الجيل القرآني الواعد.

6- تقديم أو تطوير مشاريع قرآنية كبيرة، والعمل على التنسيق بين الجهود في نشاطات بحثية مشتركة والتعاون فيما بين الباحثين والجامعات والجمعيات والمراكز البحثية لإنجاز تلك المشاريع العلمية، وكذلك اشتراك أكثر من تخصص معرفي وعلمي في إنجاز بحوث قرآنية جديدة.

7- ضرورة التعرف على مناهج العلماء القدامى والمحدثين في البحث القرآني، والإفادة منها في الدراسات المقارنة، وطرائق البحث في المؤلفات القرآنية القديمة والحديثة وكيفية التعامل معها.

8- توجيه دعوة إلى البلاد العربية والإسلامية شعوباً وحكومات ومؤسسات إلى مزيد من العناية بالقرآن الكريم وعلومه، وتطوير الجهود السابقة وتحسينها بما يتناسب وعظمة القرآن الكريم.

9- بذل المزيد من الجهود العلمية في موضوع الإعجاز القرآني بوجوهه المتعددة والمتجددة وتقديم دراسات حديثة في هذا الموضع وربطها بالتطور والتقدم العلميين.

ثبت الهوامش:

(1) سورة الكهف، آية رقم:(109).

(2) سورة الإسراء، آية رقم:(88).

(3) انظر مادة (فرد) فى (لسان العرب لابن منظور) وأساس البلاغة للزمخشرى، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى، والمعجم الوسيط .. مجمع اللغة العربية

(4) ورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغى فى شرح الكافية البديعية . 245، وخزانة الأدب . 372، ومعترك الأقران – 407/1، والإتقان – 93/2، وشرح عقود الجمان . 150، وأنوار الربيع . 267/5، ونفحات الأزهار . 269، وتحرير التحبير . 576، والمزهر. 251/1، وانظر فى ذلك : معجم النقد العربى القديم . د. أحمد مطلوب . 160/2 بغداد 1989 م.

(5) انظر: تحرير التحبير ،ابن أبى الأصبع، تحقيق .د. حفنى شرف ص 576،578، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1983م

(6) ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح : أحمد عبد المجيد الغزالى ص 432، ط. دار الكتاب العربى . بيروت 1984. واشرأب الدمع : ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر علي الخد ، يَكِفَ : مضارع وَكَفَ بمعني سال . وأصل اشرأب: مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كى ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال علي الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل (اشرأب) هنا يرجع إلي تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني والمشبه به ورد في البيت الثانى هو :

رَشأٌ تَوَاَصَيْنَ القِيَانُ بِهِ حتي عَقَدْنَ بِأُذْنِهِ شَنَفاً

(7) سورة هود، آية رقم:(44).

(8)لتفسير ذلك انظر:هامش رقم(1)، ص12 من هذا البحث

(9) ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، ص221. وانظر:إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006 م).بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، الدار الثقافية للطباعة والنشر، ص3، 2، ط1، القاهرة.

(10) الحِلّي، صف الدين،(1983)م.شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت.د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص245، ط1، دمشق.

(11) سورة البقرة، آية رقم:(187).

(12) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ص297، ط1، بيروت، 1987م.

(13) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان، دار الفكر، ص150.

(14) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمد جاد المولى، 251/1، ط:الحلبي، مصر.(د.ت).

(15) السيوطي،(1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ج1، ص407، بيروت.

(16) المدني، صدر الدين بن معصوم،(1388هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف، ص672، 673.ط1. العراق.

(17) النابلسي، عبد الغني،(1299هـ)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع، م:نهج الصواب، ص5، دمشق.

(18) السابق، ص103، نقلاً عن كتاب تحريرالتحبير، ص576، وبديع القرآن، ص287.

(19) مطلوب، أحمد،(1989م)، معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، ص160، 161، ط1، بغداد.

(20) إبراهيم، كمال عبد العزيز، بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم، ص45– 65.

(21) سورة مريم، آية رقم:(٢٣).

(22) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة..ج5.ص304.

(23) ابن منظور.(2000م).لسان العرب.ج13.ص46، 47.

(24) سورة مريم، آية رقم:(71).

(25) الزبيدي.(1994م). تاج العروس.ج16، ص126، 127.

(26) لجنة من علماء الأزهر.(د.ت).المنتخب. ج2.ص15.

(27)الشعراوي.(د.ت).تفسير الشعراوي.ج1. ص5593.

(28)السابق.ج1. ص6001.

(29) سورة مريم، آية رقم:(٨٢).

(30) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.ج3.ص360.

(31) أبو السعود.(د.ت).إرشاد العقل السليم..ج4.ص331.

(32) قطب.(1402ه).الظلال.ج4.ص2300.(بتصرف يسير)

(33) سورة مريم، آية رقم:(85).

(34) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.ج6.ص98.

(35) ابن منظور.(2000م).لسان العرب.ج15.ص353.

(36) انظر:سورة يونس(23، 70)، الأنبياء(93)، القصص(39)، المؤمنون(115)، العنكبوت(57)، لقمان(23)، الغاشية(25)تجد في كل ذلك أن(إلينا)استعملت في غير سياق الرحمة.

(37) سورة مريم، آية رقم:(٨٩).

(38) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.ج1.ص11.

(39) الزجاج.(1988م).معاني القرآن وإعرابه.ج3.ص346.

(40)الشعراوي.(د.ت).تفسير الشعراوي.ج1.ص5618.

(41) ابن عاشور.(2000م).التحرير والتنوير.ج16.ص85.(بتصرف يسير)
(42) أبو السعود.(د.ت).إرشاد العقل السليم.ج4.ص333.
(43) قطب.(1402هـ). الظلال.ج4.ص2320، 2321.
(44) سورة مريم، آية رقم:(٩٨).
(45) الرازي.(1910م).مختار الصحاح.ج3.ص880.
(46) أبو السعود.(د.ت).إرشاد العقل السليم.ج4.ص335.
(47) الرازي.(1993م). مفاتيح الغيب.ج21.ص568.
(48) ابن عاشور.(2000م).التحرير والتنوير.ج16.ص99.
(49) قطب.(1402هـ).الظلال.ج4.ص2322